العلاقات الملحوظة في النص القرآني

تدرك العلاقات بواسطة القرائن الدالة عليها-فإذا رأيت إنسانا يقبل يد إنسان آخر أدركت بهذه القرينة الحسية (المرئية) أى الرجلين أرفع من صاحبه قدرًا، وإذا رأيت رجلا يلبس ملابس الشرطة أو الجيش أدركت إنتماءه إلى الفئة التى تدل عليها هذه الملابس. وإذا كنت تمشى فى الطريق فسمعت الأذان للصلاة استدللت على خصوص الصلاة بوقتها فى اليوم وعلى حلوله بالأذان لها فعلمت أن هذه صلاة العصر أو المغرب مثلا. وإذا كنت تسير فى طرقات المدينة فشممت رائحة شواء دلتك الرائحة على قربك من مطعم للمشويات، وإذا لمست ثوبا لدى بائع الثياب عرفت باللمس ما إذا كان الثوب قطنا أو حريرا أو صوفا. ومن يذق الطعام أثناء إعداده سيعرف ما إذا كان الطعام قد نضج أو أنه ما يزال دون مرحلة النضج. ومعنى ذلك أن الحواس الخمس اكتسبت بالطبع والدربة قدرة على التفريق بين الأشياء والمواقف والأحداث بعلامات خاصة تسمى «القرائن الحسية» يربط الفهم بها بين الأمور وأعراضها التى تعرض لها.

واللغة نظام لفظى يربط الألفاظ بالمعانى بواسطة نوعين من القرائن أحدهما يسمى القرائن اللفظية والآخر هو القرائن المعنوية أى أن العلاقات بين أجزاء الكلام قد يستدل عليها بقرائن لفظية فنسميها علاقات ملفوظة وقد يستدل عليها بقرائن معنوية فنعرفها باسم العلاقات الملحوظة أى التى لا يعتمد إدراكها على قرائن لفظية. ويعتمد التحليل النحوى على عدد من القرائن اللفظية منها: **بنية اللفظ** (وتعرف من أقسام الكلم ودراسة الصيغ الصرفية ووظائفها) **والتضام** (ويعرف من خلال

الافتقار والاختصاص والمصاقبة) **والرتبة** (وهى إما محفوظة أو غير محفوظة تحتمل التقديم والتأخير) **والمطابقة** (وهى اشتراك اللفظين فى الأفراد والتثنية أو الجمع، وفى التكلم أو الخطاب أو الغيبة وفى التعريف أو التنكير وفى التذكير أو التأنيث وفى حكم الإعراب) **والربط** (بواسطة إعادة الذكر أو إعادة الضمير أو أمور أخرى بعينها تؤدى الغاية نفسها) **والأداة** (أى الأدوات الداخلة على المفردات كحروف المعانى والداخلة على الجمل لتدل على نوع أسلوب الجملة كالشرط والاستفهام إلخ) **ونغمة الكلام** (فى الكلام المنطوق) ودلالة **السياق** (بما فيه من قرائن خارجية وحسية وعقلية إلخ).

واللغة منظمة إنسانية يستعملها إنسان ويفهمها إنسان. وفى الذاكرة الإنسانية قصور يتطلب الالحاح عليها بالقرائن للإبقاء على ما اختزنته هذه الذاكرة تصور أنك سألتنى عن مكان معين تريد الذهاب إليه ولا تعرف موقعه وكان بيننا وبين هذا المكان مسافة ومنعرجات فاكتفيت بأن أطلب منك أن تسلك أول منعرج دون أن أصف لك علاقات تبدأ بها المنعرجات الأخرى وعلاقات تحيط بالمكان الذى تريد، أكنت تستطيع بهذه القرينة الأولى أن تصل إلى ذلك المكان؟ فإذا وجب أن تتعدد القرائن فى هذا المثال فهى فى اللغة أحوج إلى التعدد. أنظر مثلا جملة مثل «قام محمد» فإذا قلت لك أعرب هذه الجملة قلت: قام فعل ماضٍ ومحمد فاعل. والسؤال هو كيف عرفت أن «قام» فعل ماضٍ وأن «محمد» فاعل؟ والجواب كما يلى:

قام فعل ماضٍ لأن صيغتها فَعَلَ بالبناء على الفتح (بنية)

ولأنها تدل على حدث القيام بما فيها من حروفه الثلاثة (اشتقاق)

ولأنها تقرن هذه الدلالة بدلالة أخرى على الزمن الماضى (وظيفة)

ولأنها تفتقر إلى «قائم» هو الفاعل لأن كل فعل فلابد له من فاعل (تضام)

ولأن هذا القائم جاء بعدها مستوفيا شروط الفاعل (رتبة)

محمد فاعل لأنه اسم (بنية)

مرفوع (إعراب)

تقدمه فعل (رتبة)

والفعل مبنى للمعلوم (بنية)

ودل على من فعل الفعل أو قام به الفعل (إسناد)

فكل من الفعل والفاعل اعتمد فى إدراكه على خمس قرائن وهذا ما يعرف فى الدرس اللغوى باسم تضافر القرائن. وإذا تأملنا القرائن السابقة الدالة على الفعل والفاعل وجدناها من نوعين أحدهما يتجلى فى لفظ واحد مفرد وذلك هو البنية والوظيفة والإعراب والآخر يتمثل فى صورة علاقة بين أكثر من لفظ واحد وذلك هو التضام والرتبة والإسناد وكلا النوعين نحوى خالص. وفوق ذلك تنحصر دلالة هذه القرائن فى نطاق الجملة الواحدة.

لم تتجه عناية النحاة إلى علاقة الجملة بالجملة إلا فى مواضع بعينها كعلاقة الجملة الفرعية (سواء أكان لها محل من الإعراب أم لم يكن) بالجملة الكبرى وكالإضراب والاستدراك والاستثناء والأجوبة ونحوها مما يعتمد على الأدوات الداخلة على الجملة وتركوا ما عدا ذلك من علاقات الجملة بالجملة لعلماء البلاغة ليدرسوه تحت عنوان «الفصل والوصل» ومعنى الفصل عدم استعمال الأداة لتبدو الجملة الثانية فى صورة استئناف ومعنى الوصل وجود الأداة الرابطة بين الجملتين. وكأن البلاغيين لم يشغلهم من الأدوات الداخلة على الجملة اللاحقة إلآ واو العطف فوجودها مظهر الوصل وعدمها مظهر الفصل. ولقد فرق البلاغيون بين مفهومى الوصل الاتصال وذلك بجعل الاتصال وشبهه حالتين من حالات الفصل وبذلك أصبح المقصود بالاتصال هو اتصال معنى إحدى الجملتين بمعنى الأخري بواسطة علاقة مامع فصل إحداهما عن الأخرى. وهكذا جعل النحاة الفصل مختلفا فى الفهم عن الانقطاع

الذى هو عكس الاتصال. ويمكن تلخيص نظرة البلاغيين إلى هذه القضية على النحو التالى:

الوصل

١ ـ إذا قصد إشراك الجملتين فى الحكم الإعرابى (زيد يقوم الليل ويصوم النهار)

٢ ـ إذا اتفقت الجملتان خبرا وإنشاء وكانت بينهما مناسبة تامة ولاسبب يدعو للفصل (فاعفوا واصفحوا)

٣ ـ إذا اختلفتا خبرا وإنشاء وأوهم الفصل خلاف المقصود (إقرأ وربك الأكرم)

الفصل

كمال الاتصال	شبه كمال الاتصال	كمال الانقطاع
أن يكون بين الجملتين اتحاد تام بأن تكون الثانية أ ـ توكيدا للأولى (قاتل ـ دافع عن شرفك) ب ـ أو بيانا لها (الصدق منج ـ فيه الخلاص) جـ ـ أو بدلا منها (زيد جواد يعطى الكثير)	أن تكون الثانية جوابا عن سؤال يفهم من الأولى (ما نقص مال من صدقة ـ زيد أكثر الناس صدقة وأوفرهم مالا)	أن يكون بين الجملتين تباين تام بأن تختلفا خبرا وإنشاء أو لا يكون بينهما مناسبة ما نحو (رحم الله أباك ـ زيد قادم).

هكذا يبدو أن البلاغيين حصروا هذه القضية فى أبواب التوابع فيما عدا النعت وأضافوا إلى ذلك الجواب عن سؤال وارد. فالوصل يبدو فى صورة عطف النسق، وكمال الاتصال إما أن يكون فى صورة التوكيد أو البيان أو البدل، وشبه كمال الاتصال يكون عند إفهام الجملة الأولى سؤالا يجاب عنه بالثانية. أما كمال الانقطاع فمجاله اختلاف الجملتين خبرا وإنشاء. وفى هذا التناول تضييق لدائرة العلاقات السياقية بين الجمل وإنكار لما عدا المفاهيم النحوية من العلاقات الرابطة بين الجمل.

وأول ما ينتقد فى موقف البلاغيين اقتصارهم فى الوصل على واو العطف. فالجمل فى اللغة العربية تترابط بغير الواو من الأدوات وبغير مطلق الجمع من العلاقات فالجملة الثانية قد تكون إضرابا عن الأولى أو استدراكا منها أو استثناء أو

غير ذلك ولكل معنى من هذه المعانى أدواته الدالة عليه وكل هذه المعانى روابط بين الجملتين وإن كانت روابط على طريق السلب. والعطف ذاته ليس مقصورا على مطلق الجمع إذ يكون أحيانا للترتيب والتعقيب أو للترتيب والتراخى فالاقتصار على الواو ومطلق الجمع لامبرر له مادامت الاحتمالات الأخرى تمثل علاقات بين الجمل. وسنرى أن بعض هذه العلاقات مما يعد من العلاقات الملحوظة غير الملفوظة.

أضعف إلى ذلك أن ربط القضية بالعلاقات النحوية فقط حتى بعد التوسع فيها على النحو المذكور يدخل الضيم على حرية الفهم لأن الفهم نشاط عقلى يرتبط بأنواع مختلفة من القرائن منها اللفظى والمعنوى والحسى والعرفى والمادى والخارجى وليس كل نوع من هذه القرائن صالحا لأن يعبر عنه بالحروف والأدوات الصالحة للحذف ثم التعبير عن هذا الحذف بعبارة «كمال الاتصال». فإذا عرضت عبارة تقوم فيها العلاقة بين الجملتين على غير ما قننه البلاغيون فى ضوء النحو ذهب التابعون لمنهج البلاغيين فى تأويلها إلى تقدير أمور هى أبعد ما تكون عن الواو التى رأوها محذوفة فى كمال الاتصال. ففى عبارة مثل: «جاء وابمذق هل رأيت الذئب قط» لم يقدروا أداة محذوفة بل إنهم عمدوا إلى تقدير نعت إما مفرد تقديره: «مقول فيه» أو جملة تقديرها «يقال فيه» وقد سبق مع ذلك أن ذكرنا أن منهجهم بنى على أبواب التوابع ما عدا النعت ! وهذا النهج الذى يتبعونه فى التقدير النحوى للفهم بالإصرار على أن إدراك المعنى لايتم إلا من خلال جملة تامة الأركان نهج متزمت يتنافى مع طبيعة الاستعمال اللغوى، فلو أن الفهم إرتبط بقواعد الصياغة النحوية فحسب لفهمنا من قوله تعالى: ﴿ فَلا تَمُوتُنَّ إلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (البقرة ١٣٢) أن الله تعالى ينهانا عن الموت إلا على حالة خاصة والمعروف أن قرار الموت والحياة ليس بأيدينا نحن ولنا فى هذه الحالة أن نتجاوز النظم اللفظى للآية إلى معنى آخر هو «تمسكوا بالإسلام حتى الموت». وأما بالنسبة إلى الشطرة السابقة فالمفهوم أن العلاقة هى الشبه ولا داعى للتمسك فى الفهم بالشروط النحوية لجملة النعت، أى أن المعنى المقصود هو: جاءوا بمحذف كلون الذئب. وهذا الفهم أولى بالبلاغيين لأن التشبيه أحد أبواب البلاغة.

وإذا كان البلاغيون قد لخصوا العلاقات الملحوظة فى كمال الاتصال وشبهه على

نحو ما سبق بيانه فذلك يعود إلى الرابطة القوية بين النحو وعلم المعانى كما صاغة البلاغيون «فيبدو أن البلاغيين اعتمدوا إلى حد كبير على المتوارث من قواعد التوجيه النحوية وبخاصة مادار منها حول المعنى من الخبر والإنشاء والذكر والحذف والتقديم والتأخير والفصل والوصل والتعريف والتنكير والعلاقة والقرينة والوجه إلخ»*. كل أولئك من المصطلح المشترك بين النحو والبلاغة وإذا جاز لنا أن نقرر فى أى الفرعين تعد هذه المصطلحات أصيلة وفى أيهما تعد فرعية فالجواب أنها أصيلة فى النحو مستعارة فى بحوث البلاغة.

والجديد الذى أضافة البلاغيون إلى ما أخذوه عن النحاة هو مفهوما «الحال» و«المقام» فينبغى عندهم عند الكلام أن يراعى المتكلم «مقتضى الحال» وأن يعلم أنه «لكل كلمة مع صاحبتها مقام». والحال مفهوم استاتيكى ثابت ولكن الكلام ديناميكى متحول بحسب سياق الموقف Context of situation ومن ثم كان مقتضى الحال أمرا غير صالح لضيط الكلام واستعماله. أما المقام فالذى حال بينه وبين أن يكون متحولا أن النحاة صنفوه وجردوا له أنواعا محددة الطابع والعدد فقالوا: مقام المدح ومقام الذم ومقام التهنئة أو التعزية أو الكدية إلخ وبذا جردوا فكرة المقام من طاقتها الديناميكية من حيث أرادوا لها أن تكون ديناميكية. أفلا يجوز أن يتحول المدح إلى عكسه بحسب سياق الموقف؟ أنعدّ المقام مقام مدح حيث قال الشاعر: «فهى على الأفق كعين الأحول» أم نضطر فى الواقع إلى اصطناع فكرة «سياق الموقف» معترفين بأن فكرة المقام لاتسعفنا بطواعية نقدية كافية تعفينا من الخضوع للقوالب؟

والاعتماد فى تحليل المعنى على سياق الموقف Context ثمرة من ثمار الدراسات اللغوية الحديثة والنظرة إلى المعنى من خلال الموقف تتجه إلى عدد من المساوقات مثل المتكلم والقول والسامع أو السامعين والظروف الاجتماعية التى تشمل العرف والعلاقات الاجتماعية وتشمل الزمان والمكان والمأثورات والاشياء والعرض والنتيجة إلخ. حين يكون لأى واحد من مساوقات الموقف هذه أثر فى فهم المعنى. فإذا أخذنا نصا قرآنيا كريما كقوله تعالى: ﴿ **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ**

* تمام حسان: الأصول ٣١٥ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٢.

التَّوْرَاةُ وَالإِنجِيلُ إِلاَّ مِنْ بَعْدِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ (٦٥) هَا أَنتُمْ هَؤُلاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ (٦٦) مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٦٧) إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (آل عمران ٦٥ ـ ٦٨). أقول لو نظرنا فى هذه الآيات الكريمة وأردنا استخراج المعنى فى ضوء النظرة إلى الموقف لوجدنا ما يلى:

١ ـ المتكلم هو الله سبحانه وتعالى يدعو أهل الكتاب إلى الكفّ عن المحاجة فيما لا يعلمون من أمر إبراهيم عليه السلام وذلك بنسبته إلى ديانتهم وادعاء أنهم أولى به من غيرهم.

٢ ـ القول يشتمل على الانكار عليهم أن يحاجوا فى أمر يجهلون أبعاده التاريخية لأن إبراهيم أسبق زمانا من نزول التوراة والأنجيل فكيف يكون مع سبقه نزول التوراة يهوديا ومع سبقه نزول الانجيل نصرانيا. أما إذا أردنا نسبة إبراهيم إلى دين بعينه فهذا الدين هو الإسلام الحنيف لأن إبراهيم ذاته بقول: ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا ﴾ (الأنعام ٧٩) والله تعالى يقول: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (البقرة ١٣١) فإبراهيم مسلم وحنيف ومن ثم يكون أولى الناس به هو هذا النبى والذين آمنوا دون اليهود والنصارى والمشركين.

٣ ـ السامعون أو المخاطبون هم طائفة من أهل الكتاب اعتمدوا على سلسلة النسب التى تربط بنى إسرائيل بإبراهيم عليه السلام فأرادوا أن يجعلوا لإبراهيم مكانا فى ديانتهم وأن يتقوّوا به فى محاجة المسلمين فى أمر دينهم. ولكن المخاطبين أيضا هم المسلمون الذين أنزل القرآن من أجل هدايتهم وتبصيرهم بأمور دينهم.

٤ ـ وسائل الخطاب هى دفع الحجة بالحجة من نواحى مختلفة:

أ ـ منطقيا لا ينتمى السابق إلى اللاحق وإنما العكس هو الصحيح.

ب ـ زمنيا إبراهيم سابق على التوراة والانجيل فلا يعدّ يهوديا ولا نصرانيا.

جـ ـ كان إبراهيم حنيفا مسلما فدينه هو الإسلام الذى يعيد الله إحياءه بنزول القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم.

د ـ لا يدعى المسلمون أن إبراهيم منسوب إليهم وإنما يقولون إنهم هم ينتسبو إلى إبراهيم الذى سماهم المسلمون من قبل فهم أولى به من حيث بدأ الإسلام ولم يبدأ اليهودية ولا النصرانية ولم يكن مشركا.

٥ ـ تاريخيا: لقد كان إبراهيم هو الذى رفع القواعد من البيت فى مكة أما هيكل إيروشليم فقد أقامة سليمان بن داود عليهما السلام بعد ذلك بزمن طويل فى ظل الديانة اليهودية.

٦ ـ جغرافيا: ثابت أن إبراهيم حل بمكة وأسكن ذريته فيها ولم يثبت أنه سكن إيروشليم.

٧ ـ من حيث المأثورات: ثابت فى كتب اليهود والنصارى أن من بنى إبراهيم فرعا فى أرض فاران (أى مكة والصحراء الجنوبية) وأن هذه الكتب تشتمل على بشارة بظهور نبى من بنى إسماعيل:

٨ ـ ولعل أهم ما يتصل باستخراج العلاقات الملحوظة من مساوقات الموقف هى النتيجة التى تحققت من القول وهى إلزام الحجة ويمكن استخراج النتيجة بواسطة النظر فى مجموع المساوقات وفى هذا الصدد قد يختلف فهم للنتيجة عن فهم آخر وبذا يختلف تقدير للعلاقة عن تقدير آخر وتكون العلاقة بين الجملتين عندئذ عرضة للاحتمال. وإذا نظرنا فى الآيات المتقدمة على نية فهم نتيجتها واقتراح العلاقات التى تلحظ بين جملها أدركنا أنّ الوجه العام للقول هو الإنكار واللوم وأن العلاقة فى الآية الأولى بين الأنكار وعبارة «أفلا يعقلون» هى المؤاخذة والتأنيب ويستمر التأنيب فى الآية رقم ٦٦ على معنى إن صح أن يقبل منكم أن تحاجوا فى أمر معلوم لكم فلا يصح أن تحاجوا فى أمر تجهلونه ويعلمه الله ثم يعزز هذا التأنيب بالحجة العقلية وهى سبق حياة إبراهيم على نشأة الديانتن ومن ثم لايمكن أن يتبع واحدة منهما ثم يأتى تقرير الحقيقة فى الآية ٦٨ وهى أن إبراهيم كان حنيفا مسلما وأن الإسلام الذى يدعو إليه محمد

عليه الصلاة والسلام استمرار لديانه إبراهيم فمحمد هو ومن آمن معه أولى الناس بإبراهيم.

٩ ـ وبإلزام الحجة تتحقق النتيجة ويمكن استنباط العلاقات الملحوظة.

وثمة نظرة أخرى إلى الكلام (أو الخطاب) تقدم بها الباحثون فى علم النص تهتم بمبدأ الترابط بين مكونا النص سواء فى ذلك من ناحية الترابط الرصفى Sequential connectivity للألفاظ أو الترابط المفهومىConceptual connectivity للأفكار ولم يقنع هؤلاء بإطار النص الواحد وإنما تجاوزوا النص الواحد إلى النصوص الأخرى ذات العلاقة فقالوا بارتباط هذه المجموعة بفكرة «التناص» بمعنى أن بين النص وتلخيصه أو بينه وبين ترجمته إلى لغة أخرى أو نقده أو محاكاته أو شرحه أو أى شىء من هذا القبيل رابطة تسمى «التناص». وليس ذلك غريبا على الفكر الإسلامى على كل حال. فمن العبارات المشهورة فى عرف المفسرين للنص القرآنى أن القرآن يفسر بعضه بعضا وأن السنة تخصص عموم القرآن وأن الاستشهاد وسيلة من وسائل التوثيق وهلم جرا، ولكن المفسرين فى كثير من المواضع لم يطبقوا هذا المبدأ العظيم حق تطبيقه. ونستطيع أن نضرب مثلا لذلك بالتناص القائم بين قوله تعالى: ﴿ **فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا** (٢٢) **فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا** (٢٣) **فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا** (٢٤) **وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا** (٢٥) **فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا** ﴾ (مريم ٢٢ ـ ٢٦)، وقوله جل شانه ﴿ **وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ** ﴾ (المؤمنون ٥٠). فسنجد عند أخذ مبدأ التناص فى الحسبان ما يلى:

١ ـ أن الكلام فى آية المؤمنون يشمل عيسى عليه السلام وأمه معا ولا يخص عيسى بالذكر.

٢ ـ أن شأنهما معًا يمثل آية من آيات الله ومعنى ذلك أن لمريم جانباً من المعجزة.

٣ ـ أن للمعجزة صلة بإيوائهما إلى ربوة فيها شجر مثمر يعين على القرار وفيها ماء معين.

٤ ـ أن آيات سورة مريم تشرح أحداث المعجزة ومنها بطبيعة الحال:

أ ـ أن عيسى لم يولد لأب كما يتضح من آيات سابقة على ما اقتبسناه (الآيات ١٦ ـ ٢١).

ب ـ أنه لم يكد يولد حتى كلم أمه بقوله: «لا تحزنى... إلخ».

وبهذا تكون آيات سورة مريم بيانا لما تشير إليه الآية المقتبسة من سورة المؤمنون وتكون الربوة المشار إليها هى المكان الذى تمت فيه ولادة عيسى عليه السلام. غير أن من يقرأ ما قاله المفسرون سيرى أى بعضهم جعل الربوة فى مصر وجعلها البعض فى بيت المقدس وجعلها آخرون فى غوطة دمشق. ولم يربط أى منهم حسب اطلاعى على أقوالهم بين هذه الربوة وبين مكان ميلاد سيدنا عيسى عليه السلام على الرغم من اعترافهم بأن القرآن يفسر بعضه بعضا. وكما يستعان بمعرفة الغرض من الكلام فى سياق الموقف على تحديد العلاقات الملحوظة يمكن من وجهة نظر علم النص أن يستعان بالترابط المفهومى من أجل الوصول إلى هذه الغاية. ذلك أن للترابط المفهومى أثره فى الإعانة على لمح علاقة التناص المؤدية إلى فهم العلاقات الملحوظة.

وعند التأمل فى هذه العلاقات الملحوظة نجدها تتراوح بين الوضوح الصريح ودقة الاستخراج وبين أن تكون عرضة للاحتمال فى بعض الحالات إذ يتردد المرء أحيانا فى نسبة الموقع إلى هذه العلاقة أو تلك بسبب كون كل منهما ممكنة إلا أن تقوم قرينة ما على أن إحدى العلاقتين أولى بالاعتقاد من الأخرى. أنظر مثلا فى قوله تعالى: ﴿ **هل يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا** ﴾ (النساء٩٥). فالجملة الأولى (أو القضية الأولى إن شئت) تتمثل فى عدم التساوى

بين القاعدين ذوى الاستطاعة من جهة والمجاهدين من جهة أخرى. عند هذا الحد تبدأ قضية أخرى هى أن الله فضل المجاهدين على القاعدين درجة. فما العلاقة بين هذه القضية وتلك؟ ولماذا جاءت القضية الثانية بعد الأولى دون أن تتقدمها رابطة نحوية؟ هنا يمكن القول إن علاقة القضية الثانية بالأولى تصلح أن تكون علاقة السببية بمعنى أن الفريقين لايستويان لأن الله فضل المجاهدين على القاعدين درجة كما يمكن أن تكون تفسيرية بمعنى أن عدم التساوى بين الفريقين يتمثل فى امتياز المجاهدين على القاعدين من حيث الدرجة. ويرشح هذا القول الثانى بعلاقة التفسير قوله تعالى بعد ذلك: ﴿ وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى ﴾ أى أن تفضيل إحدى الطائفتين على الأخرى تفضيل من حيث الدرجة فقط وأن عدم التساوى ليس ناجما عن غضب الله على القاعدين. ثم يأتى بعد ذلك تحديد شبه كمىّ لهذه الدرجة فى قوله تعالى: وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما»، وإذا أردنا تقدير لفظ للعلاقة يوضحها وجدنا تقدير العلاقة السببية على صورة: لأن الله فضل المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة، ووجدنا تقدير العلاقة التفسيرية على صورة: أى أن الله فضل المجاهدين... إلخ وكلا التقديرين ممكن الأ أن القرينة تجعل تقدير علاقة التفسير أولى من تقدير علاقة السببية.

وليست العلاقات الملحوظة مقصورة على السببية والتفسير وإن كانت هاتان العلاقات أكثر العلاقات الملحوظة شيوعا فى النص القرآنى. إذ نجد فى النص القرآنى علاقات أخرى أقل شيوعا مثل قلب الدعوى فى قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١١) أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ ﴾ (البقرة ١١ - ١٢)، أو علاقة الملابسة كما فى قوله تعالى: ﴿ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ﴾ (البقرة ٦٠) بدليل صحة تقدير واو الحال قبل «قد»، أو علاقة الشرطية فى نحو ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُوْلَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَائِفِينَ ﴾ (البقرة ١١٤) أى

من منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه فلن يدخلها إلا خائفا، أو علاقة التفصيل بعد الإجمال كما فى قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَىٰ بِالأُنثَىٰ ﴾ (البقرة ١٧٨)، أو علاقة الإنكار كما فى قوله جل شأنه ﴿ ثُمَّ أَنتُمْ هَؤُلاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾ (البقرة ٨٥)، أى لايقبل منكم أن تؤمنوا ببعض الكتاب وتكفروا ببعض، أو الإفحام كما فى قوله سبحانه: ﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ ﴾ (البقرة ١٤٠) لأن المخاطبين لايستطيعون دعوى أنهم أعلم من الله، أو علاقة الإجابة على سؤال سبق كما فى قوله تعالى: ﴿ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ (البقرة ٢١٤)، أو علاقة الإضراب نحو: ﴿ وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا ﴾ (آل عمران ١٧٨) أى بل تملى لهم ليزداودا إثما، أو علاقة الإلزام بمضمون ماسبق نحو: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ.... وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ (النساء ٢٣ ـ ٢٤) أى ذلك ما فرضه الله عليكم، أو الالتزام بما سيأتى نحو: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا ﴾ (النساء ١٢٢) أى كتب ربكم على نفسه الوفاء بهذا الوعد. ولكن أكثر العلاقات الملحوظة شيوعا فى القرآن الكريم كما سبق هما علاقتا السببية والتفسير. وفيما يلى شواهد من القرآن الكريم للكشف عن مختلف العلاقات الملحوظة:

١ ـ علاقة السببية:

* قال تعالى: ﴿ **وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ (البقرة ٢٠) أى لأن الله على كل شىء قدير فالذهاب بالسمع والأبصار لا يتحقق إلا مع القدرة على ذلك.

* وقال تعالى: ﴿ **فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** ﴾ (البقرة ٣٧) أى لأنه هو التواب الرحيم غافر الذنب وقابل التوب.

* وقال سبحانه: ﴿ **قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا** ﴾ (البقرة ٧٠) أى لأن البقر تشابه علينا فلم تعد قادرين على تميز المطلوب.

* وقال جل شأنه: ﴿ **مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ (البقرة ١٠٦) أى لأن الإتيان بما يكون خيرا من المنسوخ أو المنسى إنما يعود إلى قدرة الله سبحانه وتعالى.

* قال تعالى: ﴿ **وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** ﴾ (البقرة ١١٥) أى لأن الله ذو وسع وقدرة وذو علم. فلفظ «واسع» هنا مأخوذ من الوسع بمعنى الاستطاعة والقدرة كما فى قوله تعالى: ﴿ **لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا** ﴾ (البقرة ٢٨٦) وقوله: ﴿ **وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ** ﴾ (الذاريات ٤٧) أى بنيناها بقوة وفى وسعنا أكثر من ذلك:

* قال سبحانه: ﴿ **رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾ (البقرة ١٢٩) أى لأنك أنت العزيز الحكيم.

* قال سبحانه: ﴿ **وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾ (البقرة ١٤٣) أى لأن الله رؤوف رحيم بخلقه.

* قال تعالى: ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (البقرة ١٥٣) أى لأن الله مع الصابرين فإن صبر ثم كان معكم.

* وقال تعالى: ﴿ وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ (البقرة ١٦٨) أى لأنه لكم عدد مبين ومن انقاد لعدوه هلك.

* وقال جل شأنه: ﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ﴾ (البقرة ١٧٨) أى ذلك الحكم من أجل التخفيف عنكم والرحمة بكم.

* قال تعالى: ﴿ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ (البقرة ١٨٥) أى ذلك من أجل التيسير عليكم دون التعسير.

* قال تعالى: ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾ (البقرة ١٨٧) أى لأنهن ملابسات لكم وأنتم ملابسون لهن ومن شأن المخالطة أن كؤدى إلى طلب المعاشرة والوقوع فى أن تختاتوا أنفسكم.

* قال تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ (البقرة ١٩٠) أى لأن الله لايحب المعتدين.

* قال سبحانه: ﴿ وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (البقرة ١٩٥) أى لأن الله يحب المحسنين.

* قال جل شأنه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ (البقرة ٢٠٨) أى لأنه لكم عدد مبين.

* قال تعالى: ﴿ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (البقرة ٢٢٢) أى لأن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين.

* قال تعالى: ﴿ وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ ﴾ (البقرة ٢٣٥) أى لأن الله علم أنكم ستذكرونهن فيسرلكم بإحازة التعريض دون التصريح فلا تواعدوهن سرا إلا أن تقولوا قولا معروفا.

* قال تعالى: ﴿ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ (البقرة ٢٥٦) أى لأن الرشد بيّن والغىّ بيّن ولكل امرئ أن يختار بينهما دون إكراه وليتحمل نتيجة اختياره أمام الله.

* قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ .... ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ ﴾ (البقرة ٢٨٢) أى لأن الكتابة أقسط عند الله.

وهكذا يتبين لنا بعد التماس الشواهد من سورة البقرة أن علاقة السببية فى صورتها الملحوظة غير الملفوظة تشيع فى آيات هذه السورة التى هى أطول سور القرآن الكريم. دعنا إذاً ننظر من جديد فى آيات هذه السورة نفسها لنكشف عما فيها من صور العلاقة التفسيرية.

٢ ـ العلاقة التفسيرية:

علامة العلاقة التفسيرية أن يصح تأويلها بعبارة (أى أن المقصود كذا) فإذا صح هذا التقدير كان ذلك دليلا على أن الجملة الثانية تفسير لمضمون الأولى كما يتضح فى الشواهد القرآنية التالية:

* قال تعالى: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ (١٧) صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾

(البقرة ١٧ ـ ١٨) أى أن المقصود بكونهم فى ظلمات أنهم صم بكم عمى فليس لحواسهم رجع إحساس أو صدى إدراك.

* قال تعالى: ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ﴾ (البقرة ٤٩) أى أن المقصود بسوء العذاب أنهم يذحبون أبناءكم ويستحيون بناتكم.

* قال سبحانه: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ (البقرة ٨٣) أى أن المقصود بالميثاق ماتضمنة من الاتفاق على أن لايعبدوا إلا الله وأن يحسنوا إلى الوالدين. ويشبه ذلك ما فى الآية رقم ٨٤ «وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم... إلخ».

* قال تعالى: ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ (البقرة ٩٦) أى أن المقصود بمبلغ حرصهم على الحياة أن يود أحدهم لويعمر ألف سنة فهم أحرص على الحياة من كل الناس بل أحرص عليها من الذين أشركوا الذين لا يرجون البعث.

* قال جل وعلا: ﴿ أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (البقرة ١١٤) أى أن المقصود بتخوفهم نفورهم من خزى الدنيا وعذاب الآخرة.

* قال تعالى: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (البقرة ١٣٢) أى أن المقصود بالوصية ما تضمنته من دعوة إلى التمسك بالإسلام حتى الموت ـ فمضمون الوصية هنا أشبه بمقول القول.

* قال جل شأنه: ﴿ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ

عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾ (البقرة ١٩٦) أى أن المقصود ضم الثلاثة إلى السبعة بحيث يكون مجموعهما عشرة كاملة وليس المقصود أن يفهم من «إذا» معنى الشرط بحيث يكون المعنى: إن صمتم فى الحج فصوموا ثلاثة وإن صمتم بعد الرجوع فصوموا سبعة بدلا من ثلاثة فحين قال تعالى: «تلك عشرة كاملة» أمن اللبس بعلاقة تفسيرية.

* قال تعالى: **﴿ عَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا لا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ ﴾** (البقرة ٢٣٣) أى أن المقصود بالمعروف هو حدود الطاقة بحيث لايلحق الضرر أم المولود ولا أباه.

* قال تعالى: **﴿ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ ﴾** (البقرة٢٧٩) أى أن المقصود أن يئول إلى كل طرف ما كان له فذلك هو العدل الذى ينفى الظلم عن الجانبين.

* قال سبحانه: **﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾** (البقرة ٢٨٦) أى أن المقصود بالوسع أن يقتصر حساب الإنسان على ما يستطيع فعله هو وألاّ يطلب منه أكثر مما تحتمله قدراته.

* **﴿ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا ﴾** (التوبة ١٢٧). أى أن تفسير النظرة هو التخفّى.

* **﴿ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾** (الزمر ٣). أى أن عبادتهم بقصد الزلفى.

* **﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ﴾** (سبأ ١٠). الفضل هو إخضاع الجبال والطير وإلانة الحديد.

* ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ﴾ (الفرقان ٢٠). أى أن المقصود اختبار القدرة على الصبر.

يتضح من عدد الشواهد التى استخرجناها من سورة البقرة أن العلاقة التفسيرية على تعدد شواهدها أضيق فى مدى استعمالها (فى حدود هذه السورة على الأقل) من العلاقة السببية وسنوالى إن شاء الله استخراج العلاقات الملحوظة الأخرى من سورة البقرة ومن غيرها عند الحاجة.

٣ ـ النقض والإبطال:

* قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١١) أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ (١٢) ﴾ (البقرة ١١ ـ ١٢) إدعوا أنهم مصلحون فأبطل الله تعالى دعواهم ونسبهم إلى نقيضها.

* قال سبحانه: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لاَّ يَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة ١٣) نسبوا المؤمنين إلى السفه فأبطل المولى سبحانه دعواهم بنسبتهم هم إلى السفه.

* قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ (٨٠) بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٨١) ﴾ (البقرة ٨٠ ـ ٨١) ساقوا دعواهم أن النار لن تمسهم إلا أياما معدودة ثم يظفرون بعد ذلك يعفو الله فأبطل النص القرآنى ذلك على مرحلتين: الأولى نسبتهم إلى التزيد بقول ما لايعلمون والثانية بإبداء القاعدة التى تحكم محاسبة الخاطئين وهى نقيض ما زعموا.

* قال جال شأنه: ﴿ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ

أَمَانِيُّهُمْ ﴾ (البقرة ١١١) أدعى اليهود أنه لن يدخل الجنة إلا من كان يهوديا وادعى النصارى أنه لن يدخلها إلا من كان نصرانيا فأبطل الله تعالى الدعويين وجعل دعوى كل من الطائفين من قبيل الأمانى التى هى أحلام تقظة لاتستند إلى واقع.

٤ ـ العلاقة الشرطية:

* قال تعالى: ﴿ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ﴾ (البقرة ٦١) أى إن أرد تم استبدال الأدنى بالذى هو خير فاهبطوا أحد الأمصار ذات الزروع. وتنوين المصر هنا دليل على أن المقصود ليس أرض الفراعنة التى خرجوا منها.

* قال سبحانه: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ ﴾ (البقرة ١١٤) أى من سعى فى منع ذكر الله فى مساجده وسعى فى خرابها فلن يدخلها إلا خائفا.

* قال تعالى: ﴿ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (البقرة ١٩٩). جاءت جملة إن الله غفور رحيم يعد فعل الأمر «استغفروا» فكانت كأنها جواب شرط مقدر تقديره إن استغفرتموه غفرلكم.

* قال تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (٢٠١) أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا ﴾ (البقرة ٢٠١ ـ ٢٠٢) أى من كان من هذه الفئة فله نصيب مما كسب.

* قال تعالى: ﴿ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ (البقرة ٢٣٢) أى من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يعضلهن.

٥ ـ الترتيب والتعقيب:

من العلاقات الملحوظة فى القرآن الكريم علاقة الترتيب والتعقيب وأكثر ما تبدو هذه العلاقة فى توالى الأقوال فى الحوار كما يظهر مما يلى:

* قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٦٧) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ فَارِضٌ وَلا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ (٦٨) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ (٦٩) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ (٧٠) قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ ذَلُولٌ تُثِيرُ الأَرْضَ وَلا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لاَّ شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (البقرة ٦٧ ـ ٧١).

فالفاء هى المقدرة قبل كل فعل قول فى هذه الآيات ولعل القرينة اللفظية على هذا التقدير هى الفاء فى «فذبحوها».

* قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ﴾ (البقرة ٢٥٨). هنا أيضا تقدير الفاء قبل كل فعل قول بقرينة الفاء التى فى «فبهت».

* قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة ٣٠) أى فقالوا... فقال.

٦ ـ علاقة الملابسة:

الملابسة اتفاق زمان الوقوع أو مكان الاستقرار كاتفاق زمان المجيء والركوب فى جاء زيد راكبا أو استقرار الزوجين فى بيت واحد «هن لباس لكم وأنتم لباس لهن» أو استقرار المرء على أمر معين «ولباس التقوى ذلك خير». وقد يعبر عن هذه العلاقة باللفظ كنصب الحال المقررة أو اقتران جملة الحال بالواد كما فى «جاء محمد وهو يهرول» وقد يكون العنصر اللفظى شرطا يتحقق فى جملة الحال كأن يكون فعلها مضارعا إلى غير ذلك. ولكن الملابسة قد تكون ملحوظة غير ملفوظة كما فى الآيات التالية:

* قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ (البقرة ٥٧) أى قائلين لكم كلوا من طباق مارزقناكم.

* قال سبحانه: ﴿ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ (البقرة ٦٠) هنا حال بعد حال فالأولى تقديرها وقد علم وتقدير الثانية قائلين كلوا واشربوا مما رزقناكم.

* قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ ﴾ (البقرة ٦٣) أى قائلين خذوا ما آتيناكم والبلاغيون يسمون ذلك كمال الانقطاع لاختلاف طابع الجملتين نحويا.

* قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ﴾ (البقرة ١٢٧) أى قائلين ربنا تقبل منا.

٧ ـ الإلزام:

لست أقصد بالالزام هنا استعمال الأمر الذى يفيد الوجوب أو نحو ذلك وإنما

أقصد استعمال عبارات خبرية أو مصادر منصوبة أو نحو ذلك مما يفهم منه الإلزام بالحكم كما سنرى فيما يلى:

* قال تعالى: ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَقْرَبُوهَا ﴾ (البقرة ١٨٧).

ففى الآية إلزام بعدم المباشرة أثناء الاعتكاف وقد تم هذا الإلزام بجملة خيرية هى «تلك حدود الله».

* قال تعالى: ﴿ الطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلاَّ أَن يَخَافَا أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَعْتَدُوهَا ﴾ (البقرة ٢٢٩). هنا أيضا جاء الإلزام بكل ما سبق بواسطة قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ﴾.

* ومن الالزام بالعبارات الخيرية قوله تعالى: «والمطلقات يتربصن» وقوله «والوالدات يرضعن» ونحو ذلك من قوله: «والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا» كل ذلك على سبيل الإلزام.

٨ ـ الإلتزام:

قد يأتى الألتزام فى صورة مصدر منصوب نحو «وعدا علينا» أو فعل مضارع مؤكد بالنون نحو «لنسفعًا بالناصية» أو جملة خبرية نحو «ولهم عذاب عظيم» أو على

صورة أخرى تفيد نية المحافظة على الوعد أو الوعيد الذى يشتمل عليه مضمون الكلام. ومن شواهد ذلك ما يلى:

* قال تعالى: ﴿ فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (البقرة ٣٨)

وجاء الإلتزام هنا فى صورة الجملة الشرطية.

* قال سبحانه: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (البقرة ٣٩) أى سأدخلهم جهنم وقد جاء الالتزام هنا بواسطة الإخبار بالذين إخبارًا محضا ولو اتصلت الفاء بالإشارة (أولئك) لكان إخبارًا مشربا معنى الشرط.

* قال تعالى: ﴿ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ ﴾ (البقرة ٨٥) أى من يفعل ذلك فجزاؤه خزى الدنيا وعذاب الآخرة فهذا قصر على معنى الشرط.

* قال جل شأنه: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ ﴾ (البقرة ١٠٢) أى ولقد علموا حكمنا ألا نثيب من اشتراه. والجملة خبرية مؤكدة بسبق اللام على «من» المفيدة للشرط ولولا هذه اللام لوجبت الفاء قبل «ما».

* قال تعالى: ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (البقرة ١٣٧) أى أن الله كتب على نفسه أن يحمى نبيه من أذاهم إن تولوا.

* قال تعالى: ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ ﴾ (البقرة ١٥٢)

جاء الالتزام فى صورة جواب الأمر الذى على تأويل الشرط.

* قال سبحانه: ﴿ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ (البقرة ٢١٤) الالتزام فى صورة جملة خبرية مؤكدة بإن.

* قال تعالى: ﴿ مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾ (البقرة ٢٤٥). عرض بمعنى الشرط:

* قال تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ (البقرة ٢٧٩).

جاء الالتزام هنا فى صورة جملة شرطية أى فإن لم تذروا ما بقى من الربا فاعلموا أن الله ورسوله سيحاربانكم حتى تقلعوا عن أخذ الربا.

وهكذا جاء المضارع فى الشاهد فى صورة الشرط فى الشاهد الأول والسابع والعاشر وجاء فى صورة حرف التنفيس والفعل المضارع فى الشاهد الخامس وفى صورة اللام الموطئة فى الشاهد الرابع وفى صورة الإجابة المؤكدة يجرف الاستفتاح وإنَّ فى الشاهد الثامن وفى صورة العرض فى الشاهد التاسع وفى صورة الإخبار بالذى فى الشاهد الثانى وفى صورة القصر البلاغى فى الشاهد الثالث أما فى الشاهد السادس فقد جاء فى صورة الأمر وجوابه، وذلك بالإضافة إلى ورد ذكره فى أول هذه الفقرة.

٩ ـ علاقة الإجابة على سؤال وارد:

* قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ (البقرة ١٨٦) كأن سائلا سأل: مامعنى هذا القرب؟ فكان الجواب: معناه إمكان إجابة الدعوة.

* قال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ (الحج ٤٦) كأن سائلا سأل: لقد تعودنا أن يقترن ذكر الآذان بالأبصار فمالنا نجد القلوب قد حلت فى هذه الآية محل الأبصار؟ فجاء الجواب ببيان السبب: فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور. والفاء فى «فإنها» لبيان السبب.

* قال تعالى: ﴿ مَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ ﴾ (يونس ٦٦) هذا سؤال وجوابه لأن «ما» التى فى بداية الآية استفهامية، و «إنْ» التى فى أول الجواب جاءت على معنى النفى.

* قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا ﴾ (العنكبوت ١٧) هنا سؤال مقدر لاستيضاح نوع الإفك ومن هنا جاء الجواب: إنهم لا يملكون لكم رزقا فالله هو الرزاق.

* قال تعالى: ﴿ قال إن فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها ﴾ (العنكبوت ٣٢) أى فكيف تهلكون قرية يقيم فيها نبى؟ فكان الجواب «نحن أعلم بمن فيها» أى أن الله سينجى لوطا ومن معه.

* قال سبحانه: ﴿ لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَلا أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرُ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴾ (سبأ ٣ ـ ٥) كأن سائلا سأل: ولماذا كان هذا الكتاب المبين فكان الجواب ليجزى المؤمنين بالمغفرة والرزق الكريم وليجزى الساعين فى الآيات بعذاب من رجز أليم، فهذا الكتاب المبين سيكون شاهدا على هؤلاء وأولئك.

* قال تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴾ (سبأ ٢) ثم قال سبحانه: ﴿ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴾ (سبأ ٩) إذا صح لنا أن تقضى

عن المسافة بين الآيتين وجدنا فى الآية رقم ٩ إجابة عن سؤال وارد على الآية رقم ٢ يقول: أى أثر يمكن أن يكون لهذا العلم؟

* قال تعالى: ﴿ **اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ (١٧) إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ (١٨) وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ (١٩) وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ** ﴾ (ص ١٧ ـ ٢٠) كأن سؤالا جاء يقول: بم يذكر داود؟ فكان الجواب: إنه أواب. . . إلخ.

١٠ ـ للتفصيل طرق أسلوبية مختلفة منها استعمال أدوات ملفوظة مثل «أما» و«من . . .» ونحوهما وقد لا تذكر أداة التفصيل فيفهم المعنى بعلاقة ملحوظة يسهل معها تقدير الأداة كما يلى:

* قال تعالى: ﴿ **وَإِن كَانَ طَائِفَةٌ مِّنكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ** ﴾ (الأعراف ٨٧) أى وطائفة منكم. قال سبحانه: ﴿ **وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ** ﴾ (التوبة١٠١).

﴿ **وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا** ﴾ (التوبة ١٠٢) أى ومنهم آخرون.

﴿ **وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ** ﴾ (التوبة ١٠٦) أى ومنهم آخرون والآخرون فى الحالتين من الأعراب الذين سبق ذكرهم.

* قال تعالى: ﴿ **يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد** ﴾ (هود ١٠) أى ومنهم سعيد. فالأداة المحذوفة فى جميع الحالات السابقة هى «من» الجارة.

وقد يفهم التفصيل دون تقدير أدارة محذوفة فيكون المعنى عندئذ من عطاء النص كما فى قوله تعالى:

* ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ (الشورى ٧ ـ ٨).

فلو شاء الله لجعل أهل أم القرى ومن حولها أمة واحدة ولكنه جعل منهم فريقين أما أحد الفريقين ففى الجنة وأما الآخر ففى السعير وذلك يوم يجمعهم ليوم الجمع أو يوم التغابن.